جـونه

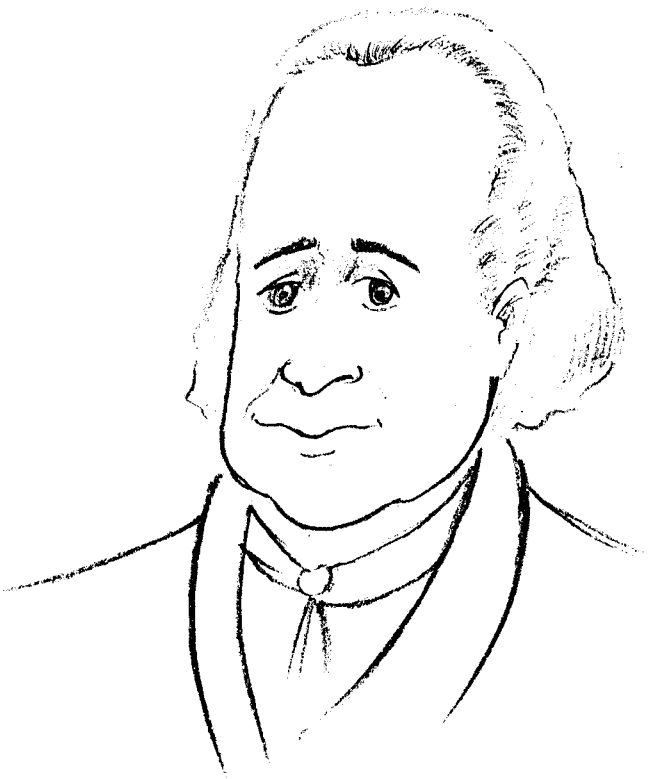

عـاشق يتحـدى العالـم

كان الأديب الألمانى جوتـه هـو أهـم أدبـاء ألمانيـا ، وأكـثرهم شهرة وتأثيرًا فى أواخر القرن الثامن عشر ، وأوائل القـرن التاسـع عشـر ، بل لا يزال هذا الأديب الكبير رغم مرور أكثر من مائة وخمسين عامًـا علـى وفاته أكثر الأدباء الألمان شهرة وأهمية ، فهو فى الأدب الألمانى مثلـه مثـل شكسبير فى الأدب الإنجليزى.

فهو قيمة أدبية تمثلت فى أعماله الخالدة مثل " ألن فرتر " و "فاوست" وقد تم ترجمة هذين العملين إلى معظم لغات العالم.

ولد جوته سنة ١٧٤٩ وتوفى عام ١٨٣٢ وكان جوته يتمتع بصحة جيدة طوال حياته ، فقد كان يتميز بالدقة والنظام ولم يكن يحب الترف والسهر على الرغم من أن السهر والترف كان متاحًا نظرًا لشهرته ونجاحه الأدبى والمادى .

منحه الإمبراطور الألمانى جوزيف الثانى رتبة " نبيل " وكانت هذه الرتبة قيمة عالية فى ذلك الوقت كما أعطته الفرصة ليختلط ، ويلتقى بالطبقة الأرستقراطية فى عصره .

عاش جوته فى بيت جميل فى مدينة " فايمار "طيلة حياته ، لا يكاد يترك البيت ، ولا المدينة الصغيرة التى عاش فيها ، فمعظم سنوات حياته قضاها فى فايمار وبهذا الاستقرار والهدوء استطاع جوته أن يحافظ على صحته وحيويته وأن يبدع حتى آخر أيامه .

عاصر جوته الثورة الفرنسية الكبرى التى هزت أوروبا وأشعلت فيها الحروب المختلفة وعاش فى عصر نابليون وما صاحب هذا العصر من تغيرات عنيفة أصابت أوروبا بأكملها، بل لقد عاصر جوته غزو نابليون لألمانيا حيث وصل فايمار التى كان يعيش فيها جوته .

وعندما وصل نابليون إلى مدينة فايمار طلب لقاء جوته وقد أعجب نابليون أشد الإعجاب بشخصية جوته بعد أن قرأ أدبه، وقد فضل جوته البعد عن المعارك والصراعات فى عصره ، وفضل العمل على زيادة موهبته والنبوغ فى أدبه.

كان جوته صاحب قلب كبير ، ينبض بالحب الدائم ، فقد كان تاريخه العاطفى حافلاً بالقصص العاطفية ، فقد كان دائمًا يحتاج الحب لكى يبدع فقد عاش دائمًا بقلب دافئ.

وكان جوته يتعرض للانتقاد بسبب هذا الاتجاه العاطفى فى حياته ولكن جوته لم يعبأ بهذا النقد ، فهو لا يحب أن يعيش تحت تأثير القيود وكانت تجربة حبه الأخيرة هى أكثر تجاربه العاطفية التى انتقدها الناس فقد جاءته وهو فى الأربعين من عمره فتاة صغيرة ، فى الثالثة والعشرين من العمر اسمها "كريستين فيلبوس " وكانت هذه الفتاة عاملة بأحد المصانع فى المدينة جاءته تطلب منه أن يجد عملاً لأخيها ليعيش منه وبالفعل ساعدها جوته وحصل أخوها على العمل .

نبض قلب جوته بحب " كريستين " فهى فتاة جميلة ، ساحرة ، شابة ، وبادلته هى إحساسه وأحبته فهو رجل مشهور ملىء بالصحة والحيوية وموضع الاحترام من المجتمع .

وكان بين كريستين وجوته فارق كبير فى العمر يبلغ سبعة عشر عامًا ، وبدأت الحرب ضد هذا الحب ، فاعتبر البلاط أن هذه العلاقة غير لائقة بجوته ورفضت النساء استقبال كريستين فى الصالونات الأدبية ، وأيضًا رفضوا التعامل مع هذه الفتاة الجميلة فى أى مجال.

ولكن جوته لم يتأثر بهذه الحرب ، فتمسك بكريستين ، فماذا يهم الفنان الكبير من هذا كله ، وهو الذى يحب هذه الفتاة البسيطة ، ويجد فى جمالها الساحر وفى قلبها النقى ، وإخلاصها الكبير سعادته ، ويجد فيه ما يزيد من فنه وإنتاجه الفكرى والفنى وربما كانت كريستين أقل الناس فهمًا لأدبه وربما لم تكن تتعامل معه على أنه ذلك الفنان الكبير صاحب الشهرة والنفوذ ، فقد كانت تكتفى بالنظر إليه على أنه حبيبها الذى تجد معه سعادتها وتشعر معه بالأمان ، ولذلك فإنها لم تكن تعبأ بشىء أو تهتم بشىء آخر غير حبها "لجوته" الرجل الذى يكبرها بكثير ، والذى رفض مجتمعه أن يعترف بها، أو يتعاطف مع حبهما .

كان جوته يجد فى كريستين صفاء النفس والعودة إلى الطبيعة البسيطة، فقد كان معها مجرد إنسان محب ، لا يتكلم فى الفن أو الفلسفة بل يتكلم فى شئون الحياة العادية .

وبعد عدة سنوات من بداية هذه العلاقة العاطفية وما أثير حولها من نقد وجدل واسع ، قرر جوته أن يكسر كل التقاليد الزائفة وأن يتحدى مجتمعه فأعلن زواجه من كريستين ، وهو فى الستين من عمره ، وعاشت معه كريستين وهى فى الثالثة والأربعين من عمرها سبع سنوات متصلة ثم ماتت وتركته وحيدًا ، بعد أن ذاق معها أجمل العواطف وأصدقها رغم ما كان بينهما من فارق فى السن ، وفارق فى المكانة الاجتماعية .

وكان زواج جوته من كريستين موضع دهشة كبيرة فى الأوساط الأرستقراطية التى عارضت العلاقة منذ البداية والتى عارضت أكثر فكرة الزواج ، فالزواج يعطى كريستين قوة شرعية لا تحق لها فى نظرهم ، لأنها العاملة البسيطة التى خرجت من الطبقات الفقيرة وجوته رجل صاحب مكانة ومستوى اجتماعى راق فى ذلك العصر .

إن زواج جوته من كريستين كان أبلغ رد على هؤلاء الذين يفرقون بين البشر والمحبين على أساس أوضاعهم الاجتماعية، فقد كان هذا الزواج تطبيقًا عمليًا لإيمان جوته بالمساواة بين البشر ، فالتفاهم الإنسانى الحقيقى يكسر كل الحواجز والقيود ، ويرفع العاملة البسيطة كريستين إلى عرش القلب النابض بالعاطفة الإنسانية، وعاش جوته على ذكرى حبيبته كريستين يكتب ويبدع حتى وفاته عام ١٨٣٢م .